



# International Journal of Advanced Academic Studies

E-ISSN: 2706-8927

P-ISSN: 2706-8919

[www.allstudyjournal.com](http://www.allstudyjournal.com)

IJAAS 2021; 3(3): 174-183

Received: 07-05-2021

Accepted: 09-06-2021

**Hakma Masoud Mohamed**

College of Literature,  
Department of Interpretation  
Section Bani Waleed  
University, Libya

## The concept of morality and politic (Thomas Hobbs)

**Hakma Masoud Mohamed**

### Abstract

The research dealt with the concept of ethics and politics according to (Thomas Hobbes). The ethics according to Thomas is individual, then human, then politics, meaning that the state does not spread virtue among people, nor does it spread behavior, but rather it is the care of their interests and their natural rights, an idea of the state of nature, which means that man was He lives in a situation of constant anxiety, fear and perhaps panic over the absence of laws and legal standards, and in this situation there is no right and wrong and the meaning of justice and injustice because there is no public authority and there is no law and there are legal relations in the natural state stemming from the individual himself and subject to his decisions. Judicial rulings.

In the Natural state, it means the freedom of the individual to do What he wants and in taking what he deems appropriate for a person from the provisions and laws that constitute the nature itself, and Hobbes says ((natural has given each individual the right to everything)) just as the idea of the contract is not binding Between individuals and for the purpose of establishing the state and to preserve people's rights and interests to spread the various virtues and compel them to behave for the good and towards the opportunity for them to exercise their natural rights.

Hence, the laws of nature require that man be compelled to preserve him without harming anyone to make him prey, and from here trust and safety must be essential, otherwise the person and his possessions will be exposed to war and the destruction of nature.

**Keywords:** thomas hobbes, group behavior, constant concern, individual interests

### المخلص:

تناول البحث مفهوم الأخلاق و السياسة عند (توماس هوبز) إن الأخلاق عند توماس اخلاق فردية ثم بشرية ثم سياسة , بمعنى ان الدولة لا تقوم في نشر الفضيلة بين الناس و لا نشر سلوك وانما هي رعاية مصالحهم و حقوقهم الطبيعية فكرة لحالة الطبيعة تعني أن الإنسان كان يعيش في وضعية من القلق الدائم والخوف وربما الهلع لعدم وجود القوانين والمعايير القانونية و هذه الحالة ينعدم الحق والباطل ومعني العدالة و ظلم لأنها لا يوجد للسلطة العامة وليس من ثمة وجود القانون و عليه ثمة علاقات حقوقية في الحالة الطبيعية نابع من الفرد نفسه وخاضعة إلى قراراتها و أحكام قضائية .

في الحالة الطبيعية يعني اطلاق الحرية للفرد في فعل ما يشاء وفي و في اتخاذ ما يراه مناسباً لشخص من احكام و قوانين تشكل لها الطبيعية نفسها و يقول هوبز (( لقد وهيت الطبيعية كل فرد الحق في كل شيء )) كما ان فكرة العقد هي لا تلزم بين الافراد و لهدف من قيام الدولة و علي المحافظة على حقوق الناس و مصالحهم لنشر الفضائل المختلفة و ارغامهم على السلوك لخير و اتجاه الفرصة امامهم الممارسة حقوقهم الطبيعية فمجال الأخلاق هو سلوك الجماعة و تنظيمها , وانشاء المؤسسات التي تحمي المصالح الفردية و تحافظ على حقوق المواطنين.

ومن هنا تقضي قوانين الطبيعة ان يكون الانسان مدفوعاً للحفاظ عليه درزن ان يمس بأي شخص لجعله فريسة ومنه هنا يجب ان تكون الثقة والأمان اساسين و الا تعرض الشخص وما بحوزة للحرب و يتم تدمير الطبيعية.

الكلمات الدالة: توماس هوبز ، سلوك الجماعة ،القلق الدائم ،المصالح الفردية.

### علاقة الأخلاق بالسياسة

❖ مقدمة يعد مفهوم الأخلاق والسياسة مفهوم غير حديث لأنه ظاهرة معقدة و يمكن أن ننظر إليهما من زوايا متعددة, اجتماعية ونفسية و فلسفية و فنية , ولذلك نلاحظ أن العلماء قد تناولوا مفهوم الأخلاق والسياسة بالدراسة و التحليل , كل حسب وجه نظره , فإننا نود ان نشير هنا إلى أن سند مفهوم الأخلاق والسياسة في إطار بحثي عند توماس هوبز بإعتباره أحد الفلاسفة المعاصرين و كان له دور بارز في هذا المجال ولد توماس هوبز عام 1588 في مولس بري في مقاطعة ويلز

**Corresponding Author:**

**Hakma Masoud Mohamed**

College of Literature,  
Department of Interpretation  
Section Bani Waleed  
University, Libya

❖ ، وتلقي تعليمه في جامعة أكسفورد إلا أنه اشتهر كتلميذاً و مساعداً وكان ابرز كتاب له (الإنسان المدني) و قسم إلى ثلاثة أقسام ( الحرية ، الدولة ، لدين ، في عام 1651 أصدر كتاب المدينة ، ثم صدر له كتابان ، كتاب في الطبيعة البشرية ، ( كتاب في المنطق) ، كما يرى هوبز أن الحوس مصدر المعرفة و كل شيء ، ما عدا الجسم وهو لا يتناوله الفهم فالفلسفة على هذا المبدأ هي علم الأجسام والأجسام إما طبيعية و إما سياسية ، فالأول تضمن الأجسام نفسها ، و إما الثانية المجتمعات البشرية فقد جعل جميع معارفنا تصدر عن الحواس ، لان المصدر الخير والشر إلى القوة الإحساسية ، فالإنسان يعمل خيراً كلما سعى نحو للذة و ابتعد عن الألم لذلك يرى جمع والبشر يرغبون في الحرب ومن هنا يستوجب أن يتنازل الناس لبعضهم البعض حقوقهم ليؤسوا سلطة قوية تحكم و تسببر على القوة الشخصية و من هنا تتأسس الهيئة الاجتماعية والتي تخضع لسلطة حاكم قان قوي أما الذين فيجب ان يكون تابعاً للدولة ، ولهذا استخدام هوبز منهج التحليل المقارنة في منهجية و اختيار موضوع البحث في مجال الأخلاق وعلاقتها بالسياسة.

ونحن خاصة نعيش في عصر فيه العديد من الاختلافات المادية والاهتمام بالمظاهر الخارجة و العد عن الأخلاق وعن المساواة وتحقيق مصالح على حسب الآخرين ومن هنا سوف اوضح الابعاد والأخلاق والسياسة والاجابة على العديد من التساؤلات الآتية:

- ما هي علاقة الأخلاق بالسياسة؟
- ماهي طبيعة القوانين والحكم؟
- وماهي فكرة العقد الاجتماعية؟

في محاولة الإجابة عن العديد من التساؤلات سيتم استخدام المنهج لتحليل في إلقاء الضوء على أهمية مفهوم الأخلاق والسياسة

❖ مفهوم الأخلاق والسياسة في اللغة والاصطلاح: ومن هنا اتجه كثيراً من فلاسفة في تعريفهم إلى الأخلاق والسياسة و إدراكاً لأهمية وتحقيق مفهوم الأخلاق والسياسة على إعتبار أن الأخلاق والسياسة لا يمكن الفصل بينهم.

الأخلاق:: جمع حلق، وهو العادة و السجية ، وعند القدماء ملكة تصدر بها الأفعال عن النفس من غير تقدم وروية وفكر و تكليف (1) أو يسمى علم الأخلاق Morale بعلم السلوك أو الأخلاق أو فلسفة الأخلاق Ethique أو الحكمة الحلقية و المقصود به معرفة الفضائل و كيفية التحلي بها لنتركى بها النفس (2) ومعرفة الرذائل لنتزها عنها بها النفس ، ومعرفة ، ولكلمته الأخلاق تستخدم في مختلفة فقد تعنى كلمة الأخلاق طريقة أو الأسلوب معيناً في الحياة و هذا المعنى اقرب إلى الأخلاق الدينية التي تسعى إلى تأكيد القيم الأخلاقية بأسلوب ديني في حياة الانسان و طريقة تعامله و قد تعنى مجموعة من قواعد السلوك (3) وهذا المعنى يشير إلى مجموعة القواعد و النصائح الأخلاقية التي يربي عليها الشيء، والبحث في طريقة الحياه و قواعد السلوك ، كما يوصف الأخلاق في قوله تعالى (" إنك لعلى خلق عظيم") ، (سورة القلم) (4) وكما تعرف أيضاً الأخلاق بأنها علم الخير والشر و أهم ما يستفاد منه هو بمعنى كل من الخير والشر و المعرفة بها (5) أما مفهوم السياسة فالسياسة هي علم الحكومة وعلاقتها و تطلق على مجموعة الشؤون التي تعني لدولة او الطريقة التي يسلكها الحكام ، أو هي علم الدولة و السياسة لغة والقائم بشؤون الرغبة و استخدام العرب لفظ السياسة بمعنى الارشاد و الهداية (6)

أما الشيوعيون فعرفها (بأنها دراسة العلاقات بين الطبقات بينما الواقع السياسي فقد عرفوها هي فن العلاقات الممكن دراستها و تغير الواقع السياسي و موضوعات و ليس الخطأ الشائع بأنه فن الخضوع للواقع السياسي و عدم تغييره بناء على حسابات القوة وأيضاً كما يعرف السياسة و عدم تغييره بناءً على حساب القوة و أيضاً كما يعرف السياسة في لسان العرب المحيط للعلامة ابن منظور الأنصار و تحت عنوان (سوس) تقرا السوس: الرياسة تعالی ساهوهم سوساً ) وإن راسوه قبل سوسوه وساساً الأمر سياسة ، قام به و سيوسه القوم جعلوه سوسهم السياسة (7) القائم على الشيء بما يصلحه، وفلان مجرب قد ساسا و سبس عليه إلى امر و عليه وفي الحديث كان بنو إسرائيل يسوسهم ايساؤهم أي تتول امرؤهم كما يفعل الإكراء والولاة بارعة وكما يقول توما هوبز السياسة هي القوة على العقاب على أي شخص لا يؤمن بها، لكم السلطة المدنية لها الحق في العقاب وإستخدام القوة إذا انحرقت الرغبة عن القانون. (8)

تانياً: مفهوم الطبيعة البشرية: -

إن المتأمل في الطبيعة البشرية يجد أن الأفراد مدفوعون باستمرار لتحقيق رغباتهم وأهدافهم، ولا يرغب الإنسان في تحقيق رغباته الحالية فقط، بل لديه حاجة قوية لأن يكون في وضع يسمح له بتحقيق رغباته في حياة مستقلة توجد لديه، هكذا منذ البدء حاول هوبز وضع الإنسان في إطار حياته الطبيعية، وهي الحياة التي تعتبر أفضل تعبير عن ممارساته الحرة، ويقصد هوبز من ذلك وضع الإنسان داخل نظام يلي حاجاته وبمدة بالإمكانات التي تتفق مع طبيعة.

كذلك عندما ينجح الأفراد في تحقيق الأهداف الخاصة بهم فإنهم يستطيعون الوصول إلى " حياة أفضل" ويتخلف الأفراد فقط الذين لديهم عواطف تحبطهم وتميل بهم إلى أشياء جانبية، لكن لأن الجميع يرغب في تحقيق رغباته، فكل الأفراد يتشاركون في تحقيق الأفضل أثناء حياتهم. ولهذا يجب أن يكون لديهم قوة وسائل ضرورية حصول على ما يحتاجه لإشباع عواطف معينة خاصة، لهذا نجد الناس يبحثون بشكل مستمر عن القوة لكي يجدوا أنفسهم في موقف لا يمكنهم فيه إطلاقاً أن يستريحوا، ويتعجبوا أو يندهشوا عندما يرون شخصاً آخر قد أقدم على أذى لهم (9) لأن كل ما لدى الفرد قد يكون موضوعاً للرغبة يعتبر هو الخير والقيمة فكل ما ينفرد منه ويكرهه المرء يعتبر سراً ويجب الابتعاد عنه.

لهذا يقول هوبز إن " الخير والشر " عبارة عن أسماء تثير الرغبة والكرهية التي تختلف العادات والتقاليد لدى الأفراد، بل أيضاً هما مريحان ومتفقان في أغلب الأوقات مع العقل في الحياة، ومن جانب آخر فإن أكثر الأفراد ذكاء وقدرته على الحياة في أوقات وظروف متباينة نجدهم مختلفين في تعاملهم مع الخير والشر، وقد يختلفون أصلاً في نظرهم إلى ما هو خير وشرير ، فقد يستحسن الفرد شيئاً أو فعل شيء، وقد يصبح الإنسان – كما يرى هوبز- دائماً لأخيه الإنسان، فالتفاوت النسبي في القدرات الذاتية لا يعني مطلقاً الاستقرار والسعادة لفرد دون آخر .

وهوبز يصف الطبيعة البشرية العدوانية بأنها تتوفر على ثلاثة دوافع رئيسية للنزاع، الأول يتمثل في روح الفرد الطائشة، أما الثاني: فهو الشعور بعدم الثقة في فعل شيء، وقد يصبح الإنسان، كما يرى هوبز- ذنباً لأخيه الإنسان، فالتفاوت النسبي في القدرات الذاتية لا يعني مطلقاً الاستقرار والسعادة لفرد دون آخر.

وهوبز يصف الطبيعة البشرية العدوانية بأنها تتوفر على ثلاثة دوافع رئيسية للنزاع، الأول يتمثل في روح الفرد الطائشة، أما الثاني: فهو الشعور بعدم الثقة في النفس، والثالث: محاولة إكتساب

السمعة الحسنة بطريقة لا تكون مقبولة، أما الوسائل فنجذ الأول يقوم على الإرهاب والعنف لاستبعاد الآخرين والوصول إلى السيادة عليهم، أما الثاني فيستعمل وسائل الحماية الدفاعية عن النفس من أجل الحفاظ مثلاً على الممتلكات، في حين الثالث يستعمل العبارات والكلمات اللغوية المختلفة إلى تدل على حب التملك هنا يتضح أن الإنسان في هذه المرحلة يفتقر إلى السلطة العليا<sup>(10)</sup>.

وحالة الطبيعية عند هوبز هي حالة الإنسان الحق في الاستحواذ. على كل الأشياء المنتمية إليه، إنها حالة الحرية التامة بلا قيود ولا ضوابط، بمعنى أن يستعمل الفرد حقه الطبيعي في حريته، وفي تحقيق رغباته وميوله بلا قوانين منظمة أو حكومة قوية، وهو الرأي الذي يخالفه جون لوك بصدد هذا الحق الطبيعي.

إن هوبز يرجع الحرية إلى الطبيعة إلا أنه يرى أن الأقوى فاعلية في كل حالة للطبيعة هو رغبة البشر وأستعمال موجه برغباتهم وعواطفهم، ومن ثم يربط هوبز أسباب الصراع بالطبيعة الإنسانية كما يربطها بالبحث عن القوة الدائم<sup>(11)</sup> ولهذا يرى هوبز أن البشر بالطبيعة غير متساوين في قدراتهم الجسدية، والعقلية.

لذلك نجد أن إنساناً قوى في قدراته الجسدية من غيره، أو يكون أسرع من الآخر في قوته العقلية، ويقوم الإختلاف على عدم المساواة في التكامل بين القدرات الجسدية والعقلية في الإنسان الفرد، يقول هوبز الرغم من عدم المساواة في القدرة بين البشر إلا أن هناك مساواة في الأمل من أجل تحقيق رغباتهم، لأن عدم المساواة في هذا الجانب بسبب انعدام الثقة، وانعدام الثقة بسبب الحرب من أجل القوة والأمن<sup>(11)</sup>.

لذلك إذا انعدمت من ثقة الإنسان فلا يكون هناك طريق لأي إنسان ليؤمن نفسه إلا عن طريق القوة والخداع والغواية إزاء الأشخاص الآخرين، وذلك حتى لا يرى قوة أخرى عظيمة تمثل تهديداً لكيانه أي أن الإنسان في حالة صراع وتنازل مستمر مع الغير، وأن إنسان التنازع هذه تعوديه إلى حالة التنافس، وعدم الثقة، والشهرة، والناس بطبيعتهم-كما أشار هوبز- غير متساوين في القوة الجسدية، وقد يقتل الإنسان القوي الآخر الضعيف، والإنسان القوي لا يكف عن إستخدام الحيل قبل الآخرين، وهكذا نجد في الحياة الغدر والخوف المتبادل بين الناس نتيجة الموت.

وبالتالي فالإنسان في نظر هوبز شرير بفطرته وغير مدني ولا يميل إلى الاجتماع بغيره، بل ينغر من الآخرين، وأكثر ما يفعله أن يكون محباً لذاته فقط ويسعى إلى تحقيق مصالحه الشخصية، ويحدد هوبز هذا الإنسان بأنه وجد في مجموعة أفراد طبيعيين لا يقوم بينهم أي نظام.

وهناك صيغة كثيراً ما أكد عليها هوبز " الإنسان ذنب للإنسان" وهي صيغة تلخص الدولة أو التنين (اللوفايثان) من جهة وإتمام السيطرة على الواقع، ولا يعني ذلك المقارنة بين الحيوان، والإنسان، فالحيوانات تنتمي إلى حكم الطبيعة أي إلى أليات تشغل لوحدها ولا تدخل القانون أو التعهد أو الوعد أو أي شيء ينتظم بواسطتها، وحركتها تختلف بحسب طبيعتها.

بينما المجتمعات الناس السياسية تختلف عنها بالكامل، لدرجة أن الإنسان رغم كونه كائناً طبيعياً سوى أنه مقادر على صناعة نظامه الخاص الذي قد يقال: إنه منفصل عن الطبيعة، ومع هذا فله المبادئ المعبرة عن وجوده وحقيقته بخلاف الحيوان، وفي هذا الصدد لا يمكن رد السلوك الإنساني ولا سيما السياسي إلى قاعدة طبيعية معينة إنما هناك دوماً أهداف ورغبات وهذا صحيح ولكن الصحيح أيضاً أن تلك الرغبات تأخذ تطوراً الإنساني والسياسي

في أشكال مختلفة عن الجوانب الحيوانية، وحتى " الحالة الفطرة" لا يمكن إرجاعها إلى حالة الحيوانية، لكنها تتحول في النظام الاجتماعي السياسي الحصول للسلطة والممارسة القانونية و الأخلاقية<sup>(12)</sup>.

وبهذا حاول هوبز فك رموز سلوك البشري من خلال تحليلاته للطبيعة إلى تفعل فعلها في الإنسان، فالإنسان خلاف وله مساحة من الإبداع والسطور، وهذا يعول في المقام الأول على ما توافر لديه من قدرات، وهذا بالتحديد ما يجعل أية مقارنة بين الإنسان والحيوان مقارنة غير صحيحة، فالصورة التي يصنع على أثرها الإنسان حياته صورة منظمة وتحكمها أخلاقيات مركبة.

وتباعاً لا يضيع البعد الطبيعي، لكنه يتسرب عبر كافة مظاهر الحياة الإنسانية، حتى إنها تتشكل به، ولعل تلك النقطة مهمة بالنسبة لهوبز، لأنها ستكون معيماً له على نقد الأنظمة المثالية التي تكتب وتقمع الإنسان، وجاء رفضه للمثاليات ولا سيما إصرارها على تقييد حريته لقاء أهداف لا تمت للواقع بصلة، إن تحرير قدرات الفرد الطبيعية لا يعني رفضها بل دخوله في مجتمع يتيح له ممارستها بطلاقة مع وجود جهاز سياسي أطلق عليه " التنين" كما نعرف، ويكون من شأنه توفير الحماية والهيمنة على الواقع، فيما أن الأفراد يخضعون لرغباتهم وأهدافهم في الحياة بالمعنى السابق، لا بد من اتخاذ خطوة نوعية تحقيق العيش دوى تطاحننا وصراع رغم وجوده في أشد حالاته حدة.

ومن هنا يرى هوبز أن الدولة كائن مصطنع من خلق الأفراد، لأن الطبيعي بالنسبة لهوبز في محاولته الفلسفية تلمس الشروط الأساسية لإستقرار المجتمع أن يتجه نحو القواعد والقوانين التي تسيطر على سلوكيات الأفراد، لأن الفرد هو الأساس هو البداية والنهاية، ولهذا يرى أن الأفراد بطبيعتهم مندفعون بنزعة حب البقاء والمحافظة على الحياة الإنسانية إلى النضال طول حياتهم من أجلها، كما نجد أن الأفراد يقفون بالطبيعة متفرقين، لأن قوتهم غير متكافئة بين القوة الجسمانية والذكاء، وإن كان الأفراد من جهة أخرى يعيشون في حالة الفطرة الأولى ولديهم حقوق طبيعية متساوية، كما أن الفرد في رأي هوبز يجتمع فيه الهوى مع العقل بطبيعته في تحقيق إرضاء الشخص بالنسبة لنفسه فقط .

والإنسان لكي يرضى ذاته لا يتم سلوكه من تلقاء نفسه وإلا لعاد الناس إلى حياتهم الأولى، إنما يحتاج إلى الاشتراك مع آخرين لتحقيق نفس الرغبات والأهواء، وهذا لا ينفي وجود الفرد بل عودة للأصول بطرائق أخرى، كأن الإنسان يدخل ضمن النظام السياسي بطاقته الفردية، وفوق ذاته بطاقة الآخرين على الحياة، وعليه فيحصل التفاعل بين الرغبات والأفعال، وليس ذلك أيضاً فريضاً للأحكام الشخصية بمقدار ما هو دائرة لممارسة الجوانب الإنسانية.

فوقاً للطبيعة فإن الإنسان كانوا منفردين ومتفرقين عن بعضهم البعض، وكان لكل منهم بناء على ذلك، حق طبيعي يشمل كل شيء يختاره الفرد على أساسه ما يرى أنه نافع له، وأن يصنع ما يريد له أن يصنع، وأن يستخدم أية وسيلة مهما كان نوعها، وقد كانت المساواة آنذاك كاملة بين الأفراد بتلك الطريقة، وكان عمل الإنسان ضد إنسان آخر ليس ظلاماً، كانت القاعدة الرئيسية " حرب الكل ضد الكل" ، والسلطة تجعل الكل قادراً على كل شيء، والإنسان في حالة الطبيعة لم يكن إلا ذنباً على أخيه الإنسان، ومن هنا نشأت تلك الحالة الطبيعية التي يسود فيها الرعب بين بني الإنسان وإن دماهم لتجمد في عروقهم من فرط خوفهم .

ونتيجة " الرعب المتبادل" بين الإنسان بعضهم من البعض دفعهم إلى الخروج من العزلة وإلى تكوين الجماعات، ومن المؤكد أن الحياة الاجتماعية لها أساسها الطبيعي، ولأن الطبيعة هي الحقيقة



الوحيدة فمن هنا يجد **هوبز** أن القانون الطبيعي هو الذي ينظم حياة المجتمع، ويجد أنه من الضروري قبول الفرد طاعة هذا " القانون الطبيعي" فهو القانون الذي يعد في نفس الوقت " قانون الأخلاق " ولا فرق بين أحدهما والآخر، وما انعدام الفرق إلا لأن هذا القانون هو الأساس الذي يجعل أمراً ممكناً، وليس هو من أجل كل فرد أمراً نافعاً فقط.

وهكذا يبدو الإنسان عند **هوبز** ذنباً لأخيه الإنسان، إنه يترصب به الدوائر ليفتك به، لأن كل فرد يسعى بحكم غريزة البقاء إلى تدعيم مواصلة حياته دون رعاية للآخرين، لذلك يسعى المرء دائماً للحصول على القوة التي بها يستطيع أن يقهر الآخرين.

فالقوة هي وسيلة أساسية لإشباع رغباتنا التي تستطيع بها المحافظة على البقاء من أجل استمرارنا.

إلا أن الطبيعة الإنسانية تشمل على العقل والغرائز والرغبات، والعقل السليم هو الذي يحمل الناس على التمسك بوسائل الحرب والخديعة، وهي وسائل حالة الطبيعة، لأن الخوف المتبادل الذي يعد السمة المميزة لها هو الذي يدفع الناس للتخلص من هذه الحالة، فالخوف المتبادل يجعل كل فرد يرتاب في الآخر، ومن هنا تنشأ عن ذلك معارك هنا وهناك يتعرض فيها كل شخص للخطر ويواجه المشكلات من أجل الحياة.

ولعل هذا ما كان يراه **هوبز** حيث قال " بأن من يريد البقاء الطبيعة إنما ينقص نفسه" ، لهذا كان لابد من إيجاد وسيلة لكبح هذه الأهواء الإنسانية الطبيعية التي لا يمكن أن نقول عنها أنها صحيحة وخاطئة مادام لا يوجد في الحياة الطبيعية قانون يجرمها، لأنها عندما تكون الدولة قائمة عند **هوبز** فليس ذلك أمراً طبيعياً بل مسألة اصطناعية لبشر عقلاء، فالدولة هي " **التنين** " **اللوفياتان** " الذي تحافظ على السلام عن طريق القوى المتنازل عليها من قبل مواطنيها، فإذا ما أقيمت مثل هذه الحكومة التي تعمل للصالح العام سواء عن طريق العقد أو القهر، فلا بد أن يتبع ذلك وجود قواعد عامة للسلوك، ولأنه لكبح الميول الإنسانية الطبيعية للغيرة والريبة والغرور تصبح فضائل الامتنان والرحمة وطاعة الأمر وإحترام حقوق الآخرين أمراً وارداً ومكماً<sup>13</sup>

**كان هوبز يقول:** ان الدولة حاجة طبيعية مثلها تماماً مثل الحاجة للمتطلبات الأولية في حياة البشر، وإلا لو لم تتخذ هذه الخطوة ما كان للإنسان أن يزعم تلبية حاجته ولا يزعم تمتعه بالحرية، الحرية تنادي الحرية كما أن الطبيعة تتطلب الطبيعة سواء في شكل السلوك فردي أو جمعي، ليس الإنسان متحرراً بما يملكه من غرائز ومشاعر وأهواء، إذن كيف له أن يمارسها في شكل مقبول، **التنين** بهذا كائن سياسي طبيعي.

#### ومضمون " التنين " له عدة دلالات في إطار السياسة.

**أولاً:** دلالة الخوف أو بالأحرى التخويف الواقع على الآخرين، وبالتالي يرى فيه الإنسان قدرةً كان لا بد له القيام بها بمفردي، سوى أن الدولة تحل محلته لإنجازها في شكل ملزم.

**ثانياً:** دلالة القوة التي تُعطى لكيان عام، ولا تُمنع لأفراد، ونلاحظ أن تلك القوة ستكون لدى **هوبز**، ومن بعده كونت، مصدرراً للأخلاق وملزمة للتمسك بها، وبالتالي فإن ما سيفقده الإنسان وسط المجموع سيُرَدُّ إليه بقوة المجتمع، بقوة التنين.

**ثالثاً:** دلالة التنظيم، ففي المجتمع يكون الأفراد موضوعاً لشكل فوضى من الأوامر والنواهي، ويحميهم من بعضهم البعض، فالدولة مؤسسة ذات شقين، الشق الأول فردي إذ يشعر كل مواطن بوجوده فيها، والشق الآخر جماعي أخلاقي، وهو نقطة لوضع الأفراد في حالة عمل عام، وإرادة خارج هيمنة الفرد.

**رابعاً:** دلالة الأخلاق، فحينما تكون الدولة حارسة للقيم والأخلاقيات يمكن للأفراد الأخذ بها والأخذ بتقنين الأهواء لا استئصالها لأنه يستحيل إلا أن يكون الإنسان نفسه، ولا يكون كذلك دون قبول الداخل على أنه الخارج والعكس.

**خامساً:** دلالة المعايير، وإذا كانت الأهواء لها الغلبة في الإحساس بالذات وفي التطلع إلى تحقيقها، فوجود التنين وجود لمعيار يقارع تلك الغلبة، ويؤسس لمعايير أخرى، وربما قصد به **هوبز** الاتفاق على معايير موضوعية إلى حد ما بدلاً من التقاتل المتواصل.

**سادساً:** دلالة السلطة، الإنسان ذنب لأخيه الإنسان، ولكن الدولة التنين، إذن سيلتهم التنين الذنب، وفي محاولة للشعور بالأهواء والملاذات فإن هناك توجيهاً يجعلها موضوعاً أخلاقياً لا مجرد سلوك فردي طبيعي.

**سابعاً:** دلالة الاصطناع، فالدولة كائن مصطنع، فني، معياري أي كائن سياسي، ومشاركة الفرد في المثل داخلها أمام القوانين والأفكار العامة إنما هو مثل للطبيعي والإنساني في نفس الوقت، وتلك النقطة مهمة من قبل **هوبز** لأنها مرحلة تطور بشري في المجتمع من دائرة الطبيعة وعلاقات القرابة وحالة الفطرة إلى دائرة العلاقات الاجتماعية المعقدة، وهي لا تكون كذلك إلا في وجود الإطار الأخلاقي.

لهذا يرى **هوبز** أن التأمل الجدي، المتواصل الذي يعود إلى الاختلافات الأولى بصدد إنسانية الإنسان مسألة مهمة، وحاول **هوبز** تفسير السلوك الإنساني غير المحوري (أي الهامشي) ورأى أن كثيراً من هذه الرموز ذات وضع اصطناعي، أي من صنع الإنسان لأجل حياته الاجتماعية.

وكان هذا وراء قول **هوبز** في هذا السياق إنه لا يمكن مضاهاة الإنسان بالحيوان في سلوكه مع نظرائه، إلا من حيث الصورة لا المضمون.

ما يقدمه **هوبز** من أفكار خلال نظريته للحياة الطبيعية إنما هي أفكار عن الطبيعة البشرية ذاتها كجزء من الطبيعة عموماً لا أكثر ولا أقل أفكاره وتحليلاته هي الإلية الضرورية لكل تنوعات هذا البناء الفلسفي، وإن كان للتحرير المعطي لهذا التأكيد متنوعاً جداً أن تتكون صورة الذات الحقوقية عن الفرد التجريد.

ثالثاً: مفهوم النزعة الفردية للقيم والمبادئ

#### ● مفهوم اللذة والألم:

جاءت الأخلاق في هذا الإطار، فيرى **هوبز** ضروري إقامتها على أساس غريزة حب البقاء، وهي في نظرة غريزة أساسية تتحكم في الوجود الإنساني كله، البقاء معناه حماية الوجود في شكل فردي وجماعي، وهي ما أشار إليها (فرويد) بحفظ الذات، والتي تجعل الإنسان قادراً على بناء حياته وسلوكه، وإذا كانت تلك الغريزة واضحة في شيء فإنها أوضح ما تكون في احتياجات الفرد وتفضيلاته وعنفه وتسلطه، وبالتالي ليست اللذة مبدئياً إلا سلوكاً مدفوعاً برغبة بمعنى السعادة، الإشباع وتجنب الألم.

وبطبيعة الحال فإن الأخلاق تضبط السلوك في جانبه الحياتي، ومن جهة أخرى تفرض إتاحة الفرص لحرية الأفراد إزاء ممارسة حياتهم بما يوفر سعادة لهم، إذن الأخلاق لا تنفصل عن جلب اللذة والبعد عن الألم، وليس ذلك أمراً هيناً، فهو بالنسبة إلى (**هوبز**) عودة إلى الطبيعة والتمسك بالحقائق الأولى في حياة البشر، فالإنسان مرتبط بغرائزه وملاذاته أكثر مما هو مرتبط بالآخرين ولذلك تأخذ الأخلاق خارج تلك الدائرة، وتضعه في دائرة تقدير للآخرين، وإعطائهم فرصة للحياة مثلما أعطوه فرصة بالمقابل، والأخلاق تفرض فيما يراعيها الفرد بذات الدرجة التي يراعيها المجموع.

ومن هنا فإن مفهوم اللذة والألم أمر مرتبط بطبيعة حياتنا، كل ما يُشبع الغريزة بسبب اللذة على حين أنها تولد لدينا، في بعض الأحيان نوعاً من الإحساس بالألم أيضاً، لأن اللذة بدورها ما تولد الرغبة ومنها يأتي الإشباع، في حين أن الألم يولد النفور الذي ينتاب الإنسان، إن نظرية هوبز في السيكولوجيا الأخلاقية تقوم على أسلوب عمل الشهوات والرغبة لدى الأفراد، فنتيجة اللذة المرتبطة بالحفاظ على حياته تتضمن أفعاله بالضرورة الهرب من الألم ومما يسببه، ولهذا يتقلب الإنسان بين طلب اللذة الغريزة باعتباره حالة سيكولوجية واقعية، وبين طلب اللذة لأنها تصدر عن حب الذات، هناك أمور آخر متعلقة بهاتين القضيتين، فالشفقة عند هوبز يزيد سبيل المثال حزن لمصائب الآخرين بقدر ما أن الإنسان ينطلق من ذاته، هناك أمور أخرى متعلقة بهاتين القضيتين، فالشفقة عند هوبز على سبيل المثال حزن لمصائب الآخرين ما أن الإنسان ينطلق من ذاته . (14).

إنهما يمثلان حالة الخلو من القواعد الأخلاقية التي غالباً ما يكون في غيابها الشقاء والتعاسة، ومن أجل هذا كان أولى بحب الذات القائم على العقل أن يكون الإنسان في حالة السلم الذي يتهيأ في ظل دولة منظمة (15).

ويشير هوبز هنا إلى أن القواعد الأخلاقية لا تنفصل عن الواقع الطبيعية، بل يكاد يعبر عن كون القواعد الأخلاقية تطبيقاً للقواعد الطبيعية وامتداداً لها، وأن العقل ذو وظيفة ضابطة تضع حالة الطبيعة في حالة مدنية وممكنة التوافق معها بطريقة عامة، وهي حالة التي تتيح سلماً لكل أفراد المجتمع، إذن الأخلاق الفردية ستكون طبيعية من حيث إمكانية وجودها في حالة تنظيمية تعكسها.

ومن هنا يرى هوبز أن اللذة الألم مرهونات بطبيعة حياتنا العضوية، لأن كل ما يشبع فينا تلك الغريزة يسبب لنا ضرباً من اللذة ويبعد عنا شعوراً بالألم، ومعنى هذا أنه حينما تكون الحركة ملائمة تحدث اللذة على حين تؤكد لدينا، في الحالة المضادة نوعاً من الإحساس بالألم كما سبق وأشرنا، لأن اللذة بدورها تؤكد الرغبة، والرغبة هي حركة انبساط في حين أن الألم يولد النفور، والنفور هو بمثابة حركة أليمة.

ونشأ اللذة والألم من حركة الإشباع أو عدم الإشباع في الوقت الراهن، وعندما تظهر المشاعر المركبة بتجربة ما، فهذه المشاعر يمكن أن تنفيها عائدين القهقري إلى الشعور بالقوة أو الضعف، فلو شعرت باللذة من شيء ما فستشعر بقدم الإحساس بالقوة، أما الألم فينشأ مسبباً نوعاً ما من الإحساس بالفتن (16).

في هذا المجال ترى الأبيقورية أن اللذة الحسية هي اللذة الأساسية التي يطلبها الإنسان، لأن الإنسان كالحوان من حيث كونه يطلب لذته مساقاً بالفطرة، وإن كان في الحقيقة يسخر عقله للعملية المؤدية إليها والأبيقور يعتبر كل لذة خيراً ما لم تقترب بألم فتصبح من أجل هذا شراً، بل إن الألم إذا نجمت عنه لذة وجب طلبه، فيتحول مذهب اللذة عنده إلى مذهب للمنفعة، ومن خلال هذا يتم هذا يتم توخي الحذر اللذة التي تدوم طوال الحياة السعيدة، ومن أجل هذا رأي أن يحرص الإنسان على رغبة شخصية تجاه لذة فردية، ويسيطر على شهواته ويتحكم في أهوائه، وأن يتخلى عن اللذة من أدت إلى ألم ويحتمل الألم من أجل لذة يتوقعها، وبالتالي اللذة شيئان نسبيان بحسب منفعة الأفراد ويحكمها الإحساس ودرجاته التي تقلب هذا الألم إلى لذة أو العكس، بهذا لا ترى الأبيقورية أي أثر للذات الروحية والعقلية على لذات الحسب، لأن الجسم بحسب باللذة والألم ما بقى قادراً على الإحساس، ولا يستطيع الإنسان أن يذكر آثارهما بعد انتقائهما، لأن لذة الحس لذة

الجسم في حاضره، وأما توقع ألم مقبل التفرقة بين طبيعة الذات وأنواعها عند أبيقور (17).

وفي مفهوم هوبز فإن الغريزة هي البعد الأساسي الذي يتحكم في الوجود الإنساني كله، ومن هنا فقد ارتبط مفهوم اللذة والألم بطبيعة حياتنا العضوية كما ذكر هوبز هنا فقد ارتبط مفهوم اللذة والألم بطبيعة حياتنا العضوية كما ذكر هوبز مراراً، لأن كل ما يشبع فينا تلك الغريزة بسبب لنا ضرباً من اللذة، وكل ما يعارض لدينا تلك الغريزة لابد من أن يؤكد لدينا تلك الغريزة لئلا يبد من أن يؤكد لدينا شعوراً بالألم.

ومعنى هذا أنه حينما تكون الحركة ملائمة في وظائفها الحيوية تحدث اللذة، على عين أنها قد تولد ألماً، وبذلك تسبب نوعاً من الإحساس يفقدان دورها كغريزة، والرغبة هي حركة انبساط في حين أن الألم يحدث النفور (18).

بناء على ذلك فإن اللذة الأخلاقية هي كل شيء بمعنى أنها المقياس الذي يمكن أ، تقاس به قيمة الفعل، وبتكرار هوبز على اللذة الأخلاقية يؤكد أيضاً على أن السعادة هي محصلة السلوك الأخلاقي، والسعادة تكون في فعل الخبرات أمراً حقيقياً، لهذا يسير فعل وسلوك الأفراد بما يشبع لها لذة أو ألماً.

هكذا نجد هوبز متفقاً مع أبيقور على مبدأ اللذة رغم أنها تختلف من شخص إلى آخر أو من فرد لآخر، لأنه قد يُعتبر فعلاً ما على أنه يحقق اللذة، في حين يعتبره آخر غير ذلك، وعلى هذا فاللذة يمكن اعتبارها نسبية، لأن اللذة بحكم طبيعتها تعد فردية ومتغيرة من فرد لآخر، لذلك لا يمكن أن تتطابق الذات والأحاسيس بين الأفراد، فكل فرد يرى لذته في شيء معين لا يراها فيه الآخر.

كما أن اللذة الفردية لا تخضع لقانون أو قاعدة تحكم سلوك وتصرفات الأفراد المؤدية لإشباع اللذة، بينما يكون العرف على غير ذلك، لأن العرف هو الذي يصنع القوانين والقواعد التي تحكم الأفراد اللذين يخضعون لها، إن مبدأ الأخلاق، المبدأ النفعي الذاتي لا ينسجم مع النظرة الأخلاقية العادية، لأن تلك النظرة في الواقع لا تبني شيئاً مطلقاً على المنفعة الذاتية الطبيعية وإنما يكون أساسها التوازن والعدالة بين الأطراف في السلوك الواحد (19).

لعلنا نلاحظ التقلبات التي أحدثها هوبز في مفاهيم الطبيعة البشرية إلى أن تكون مفاهيم أخلاقية، فمعروف إن الأخلاق لا تتم دون وجود الآخر، وبالتالي ما يمكن نيله من سعادة نتيجة لرغبات تتقلب التوافقي مع المجتمع، ولعلنا نلاحظ أيضاً آراء هوبز كآراء تكوينية، أي أنه حاول طرح كيف تتبلور الأخلاقيات وجذورها وأنماطها، وماذا لو جاءت ضمن المجتمعات البشرية.

فالأساس الطبيعي ليس أساساً أولياً وينتهي أمره، إنما يحتمل أن يكشف ما يتعارض معه، ويمكن من زاوية أخرى تأسيس موضوعات أخلاقية أخرى في كافة مناحي الحياة الإنسانية، والتأنيب بتلك الصورة محاولة لنقص التراكم الذي قد يلحق بسلوك الإنسان، فالمجتمع قد يحتوي الأفراد داخل نظام قهري غير أن المبادئ الطبيعية سرعان ما ترفض هذا التصنيف.

ومن هنا فإن ربط هوبز بين الطبيعي والأخلاقي سيكون خطوة إلى الأمام حيث يحقق الإنسان وجود الحر والقانع بالمعايير التي يعمل بها الناس من تلقاء أنفسهم ومع كونهم يغتزمون الفرصة للانقضاض على غيرهم، فمعرفة كل فرد بأن الآخر سينقض عليه جعله حريصاً ومتحياً فرصة، فتكون النتيجة أن الكلال يحذر الكلال ويتجنب الفرصة للإجهاد عليه، والنتيجة البعيدة هو العمل بما يخالف إهدار وجود الآخرين، تحسباً من أن يكون موضوعاً لهذا الإهدار.

**\*نسبية الخير والشر.**

يربط توماس هوبز اللذة والألم بفكرة الروح، بينما الخير هو موضوع للرغبة، فالأشياء المرغوب فيها تكون خيراً بقدر ما تكون مرغوبة، والأشياء التي تنفر منها هي مثل الرغبة، فهي حركة الموضوع التي ينتج عنها عمليات فسيولوجية داخل الجسم، والقيام بفعل معين على نحو عقلي لا يلزم عنه حرية الفعل على نحو مصادم لدوافع فسيولوجية، لأنَّ العقلانية عند هوبز هي عمليات بسيطة وليست الإرادة هي القوة التي تحكم الرغبات (20).

ومن هنا يُقرن الخير اللذة بالألم، يقول هوبز أينما كان موضوع شهوة الإنسان أو رغبته، فإنَّ هذا بعينه هو ما يطلق عليه المرء من جانبه اسم الخير Good، وأينما كان موضوع كراهيته أو نفوره فإنَّ هذا بعينه هو يطلق عليه اسم الشر Evil وأينما كان موضوع احتقاره أو استخفافه فإنَّ هذا بعينه هو يطلق عليه لفظ الخسيس Vile (21).

والواقع أن كلمات الخير والشر المدني والخسيس إنما تكتسب معانيها في السياق السابق، والأمر كما يقول هوبز أن الإنسان هو بطبيعته مجرد فرد أناني لا يتحرك الا من أجل ذاته أو نحو ذاته، فليست الأنائية غرضاً من الحياة البشرية، بل هي جوهره الوجود الإنساني من حيث هو وجود مادي نفعي يأخذ بالسعي نحو البقاء والعمل على زيادة السيطرة، لأن القانون الطبيعي الأوحده الذي يحرك الآلات البشرية إنما هو قانون الأنائية أو المنفعة أو القوة.

الأنائية في الأخلاق تجعل الفرد يتأثر بوجوده في الاتجاه الذي يرغبه، وعلى الرغم من أن الأنائية تقوده إلى الأفعال عامة إلا أنها لها أهمية الفعل في مواقف أو أخرى، نظراً إن تصرف الفرد لا يمكن تصنيفه هنا أو هناك إلا أنه نفسية تؤدي إلى الخير أو الشر بحسب رغبة الفرد، الرغبة تؤدي إلى إنجاز الأفعال ومن ثم يتفاعل مع غيره من البشر.

وقد ينظر إلى الأنائية على أنها عمل فردي سوى أنها لها أصداء خارج الإنسان، لأنها تعبر عن جانب لا يراه غيره كما أنها تحقيق مقولة الإنسان ذنب لأخيه الإنسان، وعليها تجعله حريصاً تجاه التعبير عن وجوده، وعن لسلوكه بقوة وتلقائية، ففي النظام الاجتماعي الذي يرى لحماية الفرد من الآخرين، لا يكفي وجود المعايير إنما يحتاج إلى سلاح الأنائية كي يخرج ذاته كاملة وقادرة على التفاعل؟

الأخلاق بتلك الصورة توظف إطار الفعل ورد الفعل، لأن الأنائية لن تفرز إلا الأنائية مقابلة، وبالتالي سيكون هناك احتياج إلى توسيط المجتمع ليحدث التوازن بين " الأنايات" والمجتمع بتلك الحالة عبارة عن إدارة أخلاقية لمجموعة من أصحاب الرغبات الأنائية، التي تهدف إلى مآربها وكم كان هوبز واعياً إلى تلك الحقيقة حتى أنه ناقشها على نطاق واسع.

رابعه: نظرية العقد الاجتماعي ليست فكرة " العقد" أو (الميثاق) أو (العهد) أو (الاتفاقية) في الحد أنها أو ما شابهها من المعاني التعاقدية فكرة الجديدة من اختراعات الأزمنة الحديثة في أما الغاية من العقد؟ إنها قوة الالتزام التي من دونها يصير الاتفاق متسبباً وهكذا، فإن ما يسوع العقد تسويق عقلياً.

لأن كل تعاقد بين بشر به متساوية هو الالتزام والخبر بالحقوق المتعرف عليها منذ زمن طويل (22)

فمنهم من يرى أن لعقد يكون بين كل فرد وبين جميع الأفراد لأخرين فرداً فرداً لصالح قوة ثلاثة تكون فيصلاً بينهم ولا تكون طرفاً في العقد (هوبز) بينما يرى آخر أن العقد بين كل فرد فرداً

وبين الجماعة برمتها، أي بين كل جزء وهو الإدارة الخاصة وبين الكل وهو الإدارة الهامة (23).

كما يقول هوبز " إن الالتزام بالاتفاق والتعاقد ولا يمكن التراجع عنه " وهنا لا يمكن لأحد بأنه يوافق على بنود العقد، ومن هنا فإن: " سلطة الحاكم تتطلب الطاعة المطلقة لكل أوامر، وللقوانين التي يخضعها، ماذا يعيش الإنسان في الجماعة لأبد من أقرت هذا العقد (24)

يعتبر هوبز من هذا المنطلق أن كل ثورة أو انتفاضة ضد السلطة السياسية القائمة والحاكمة هي دوماً مهمة كانت العقل الذي استندت إليه وجب على كل فرد من أفراد الدولة أن ينشئ في ذاته شعوراً بالدولة لقائمة هي قوة لا تغلب ولا تقهر (25).

وكان يرى هوبز أن ما وصلت إليها انكثرتا في عهده من فوضى وغليان يعود إلى: (التيسير الإيديولوجي والسياسي الذي قام به وإعطاء متحمسون زعموا أنهم يعرفون الديانة المسيحية، وما يجب أن يكون عليه الدولة المسيحية تتخطى معرفة السلطات القائمة) ومن هنا يرى الإيد الدولة على الكنيسة لأنها لا نملك (26).

ويؤكد هوبز على تصرف ارادي ولم يجبر عليه الافراد من جانب أي شخص ولكن يحكم الطبيعة وبحكم العقل.

لأن الحاكم أو صاحب السيادة ليس طرفاً في التعاقد فهو لا يقيد بالعقد، بمعنى أنه غير معبد إلا بأهداف العقد، وهي تحقيق مجتمع يستطيع الفرد يأمن فيه حياته وممتلكاته ونتاج للتعاقد وليس طرفاً فيه (27).

وهنا يرى رأي هوبز لا يختلفان عن مكيافيللي وإنه هوبز أساس إنشاء الدولة عنده نفعياً للحكم المطلق وبينما مكيافيللي يقول بحكم المطلق (28).

ومن التعاقد يلزم وجوب الصدق والأمانة وعرفان الجميل والتسامح ويجب إلزام بالقواعد ظاهراً كما يلتزم الفرد باحترام حقوق التخزين إن احترام حقوقية الخاصة، وفي احترام الحقوق المتبادل بتأكد الأمن بشكل أساسي، ويصل البشر لاحترام الواحد فهذه الشروط المخلفة تساعد البشر على أنهم يفعلون هذا لا يكون لا مكان للخطر، وعندما يجتمع هذا شروط يحترم كل فرد حقوق الآخرين (29)

فالدولة عنده تحرص على أن نضع أسس لنظام أخلاقي يحقق المواطنين يكفل للمجتمع السلام الافراد بأهداف النظام تتصل شخصياتهم ويساهمون فعاله إدارة لدولة له بمعنى أن وجود نظام أخلاقي في متفق عليه الطريق لتطوير هذا النظام، في ظل مجتمع متماسك قوي، لأن المجتمع القوي هو الذي تحكمه سلطة القوية لأنه وحده تكفل الإنسان حرية وكرامة (30)

وعندما يتم التعاقد نجد السلطة تقوم بواجب تحقيق حقوق الأفراد المنصوص عليها من أجل استغلال كل الحقوق لهذا السلطة الحق المطلق، ومن الحقوق الطبيعية مالا يخضع للتنازل مطلقاً، فالحق الطبيعي هو لحفظ على الحياة والعيش في السلام ومن الحقوق هو ينبغي الفرد من أجل توفر لسلطة في المدينة من أجل القيام بالمهام السلطة التنفيذية (31).

ومن هنا فإن هوبز سيادة الحاكم مطلقة لأن الفرد تنازل بمقتضي العقد الاجتماعي عما كان لديهم من الحرب وحقوق في الحالة الطبيعية وهو تناول كامل وغيره مشروط، ولا يتيح للفوضى القطرية أن تقود من جديد وبمعنى هذا أن الإنسان لا يستطيع أن يسترد ما أعطاه للحاكم كما أن الحاكم غير ملزم من قبل الناس بشيء (32)

فإنه ليس للإنسان إلا أن يختار بين السلطة والمطاعة وبين الفوضى الكاملة ذلك أن الحاكم أن يكون سلطاته كاملاً معترف به ومن ثم توجد الدولة أولاً يعترف به توجد الفوضى (33).

- ❖ أهم الملامح الأساسية للعقد الاجتماعي عند هوبز.
1. إن المشتركين في العقد هم الأفراد وليس الجماعات، حيث إن الأفراد متساوون في الحقوق الطبيعية، ويتعاقدون على التنازل عن هذه الحقوق لشخص أو هيئة حاكمة لا تكون مشتركة في المقعد.
  2. الخضوع لسلطة تكون رأسية في العقد وليس هناك أدنى أهمية المعارضة الأقلية بل للحاكم كامل السلطة للقضاء هو أدنى مسحة لا شرعي.
- إن غاية المتعاقدين هو تحقيق الأمن الداخلي ومقاومة الخطر الخارجي وهذه الغاية هي الشرط الأساسي في الوجود الدائم لمجموعة الحقوق والقوانين الطبيعية

### • الحقوق الطبيعية

- يصف توماس هوبز الحقوق الطبيعية هي حقوق الإنسان على أساس (أخلاقي) طبيعي، أو ديني أو حتى بيولوجي مستقل عن أي قوانين أو تقاليد إنسانية مؤقتة، يفترض كل من سقراط، أفلاطون، وأرسطو، وجود العدالة الطبيعية أو الحقوقية الطبيعية، غالباً ما يقال إن أرسطو هو ولد القانون الطبيعي (34).
- كما أن الكنيسة الأوائل إلى دمج مفهوم القانون الوثني ضمن المسيحية، ظهرت نظريات القانون الطبيعي بشكل فلسفات توماس الأكوان. وجول لوك وتوماس هوبز وغيرهم (35).
- وفي القرن السادس عشر، تم استخدام هذه القوانين بواسطة الملوك الإسبان للتحقيق شرعية لمزاعمه ملكية، وفي القرن السابع عشر أسس توماس هوبز، النظرية لتعاقدية باستخدام مبادئ الوضعية القانونية منذ بداية الإنسان هو الضمن حدود الطبيعية حتى لا يوجد خوف على حياة من جمعة آخر (36).
- يعتبر هوبز عن حالة الإنسان الطبيعية ويقول عنه " الإنسان ذئب للإنسان " بمعنى أن حالة الطبيعة التي كان الإنسان يعيش فيه حرية مطلقة هي حالة حرب دائمة بين الإنسان وأخيه الإنسان، والحق الطبيعي هو الحق في تلبية الرغبات وإشباعها حاجة وفودها اليوم، والحق الطبيعي هو معناه العدل وحرية كل وحدة في العمل بكامل قوته وكل ما يحلو له.

### وهنا توجد مجموعة كم من الحقوق الطبيعية.

1. **الحق الأول:** هو حق البقاء في العيش والمحافظة على الذات وهو الأساس الذي ينبع من الذات، لأنقيبه أو يرفض الوقوع في تناقض " فليس ثمة قانون أو فكرة معقولة تجبر الإنسان على التخلي عن المحافظة على حياته بل إن الإنسان إذا ما حرم من أي مادة ضرورية لحياته وإن يحافظ على بقائه إلا إذا أقدم على شيء يخالف القانون فإنه يدافع لحاسب.
2. **الحق الثاني:** بناء لحق الأول الذي يعبر عن المحافظة على الذات يكتب الذي حقاً ضرورياً وهو استخدام الوسيلة التي تتكفل بتحقيق هذه الغاية شريطة أن يكون الوسيلة ضرورية.
3. **الحق الثالث:** هو حق الإنسان في تقرير أنواع الحياة تقرير الوسائل الضرورية التي يراها كفيلة بتحقيق الحفاظ على حياة من أي خطو الذي يمكن أن، يتعرض له وهو أمر ممكن وهو يقول هوبز " الكل انسان الحق بالطبيعية في أن يحكم بنفسه أي أنواع الوسائل تكون ضرورية، وأن يبحث عليه.
4. **الحق الرابع:** هو حق تملك على أي شيء يجده الفرد أمامه فليس من أي حق فرد أن يقول هنا ملكي أ، هذا ملكك فاء لكل هنا يملك كل شيء ولا أهدية لك أي شيء على الإطلاق، لهذا فالحق أربعة. من العقل الطبيعي الذي يفترض وجودها عند كل الناس، ومن ثم فهي حقوق تحظى به غير مكتسبة، وتدفع

الناس إلى حالة الفوضى الطبيعية وهي حالة بالغة الخطورة (37).

ومن يوضع هوبز ينبغي في ذلك التميز بين الحق والقانون، بذلك أن الحق يعتمد على الحرية: حرية المرء في أن يفعل أو أن يمتنع عن فعل ما، بينما القانون يرتبط بواحد منها دون الآخر، أي أولاً الامتناع عنه.

كما يرى هوبز مجموعة من القوانين الطبيعية المعنية بتنفيذ تلك الحقوق الطبيعية السابق ذكرها، ولكن قبل ذلك يتساءل هل يمكن للمرء، أن يتنازل عن هذا لحق الطبيعية بنعم لأنها جائز في بعض الحقوق وغير جائز في بعضها الآخر.

وهنا يأتي دور قوانين الطبيعية، وهي التي تتمثل أساسها في القواعد العامة التي يكتشفها العقل البشري والتي تمنع أي تصرف ضد المحافظة على النفس، من حيث ترشد الأفراد إلى ضرورة الخروج من حالة طبيعية هذه، أي ضرورة السعي والسلام واتباعه يوجد اتفاق بينهم لاتخاذ سلطة عليا وتحد من اندفاعهم السائد في حالة الطبيعة.

" يعرف هوبز " (القانون الطبيعي Laws of Nature) بأنه مبدأ، أو قاعدة عامة، تكشف من قبل العقل، يمنع الإنسان بموجبها من فعل ما يكون مدمراً لحياته، أو تنازع وسائل المحافظة عليها، وإهمال ما يعتقد أنه يمكن بواسطته المحافظة عليها على أفضل نحو " (38).

وباعتبار أن الأخلاق الحقيقية هي التي تقوم على قوانين الطبيعية والتي هي أزلية ثابتة لا تتغير، من ثم فهي أخلاق عقلية إن هوبز يعرض في كتاب التنين- اثنا عشرة قانوناً طبيعياً نلخص هذه القوانين فيما يلي:

1. **القانون الأول:** هو أن يسعى الفرد إلى السلام وأن يعمل على اتباعه حيث أن العقل يوحي للأفراد بأنهم يجب أن يتخلصوا من حالة الطبيعة الحالة حرب حتى يحافظوا على أرواحهم (39).
2. **القانون الثاني:** أن يلزم الإنسان بالتخلي التي يمكن أن تعرف السلام " بالتنازل عنها نهائياً أو تعلمها إلى الآخرين (40).
3. **القانون الثالث:** ينبغي أن يلزم الناس بتنفيذ ما يبرمونه من موثيق وعهود حتى تتحقق الثقة والعدالة في المجتمع إذا أن الالتزام بالتعهدات إذا ما كان التزاماً باطنياً فقط ليس كفيلاً بتحقيق العدالة لأنه يحتاج إلى قوة سياسية لتدعمه، ووضح هوبز أن يكون التعهد باحترام تنفيذها ما أتفق عليه احتراماً متبادلاً بين الطرفين وإن يكون علنياً، وهو أساس فكري العدل والظلم عنده، فالظلم لا يعني شيئاً سوى عدم تنفيذ التعهدات التي قطعها المرء على نفسه، والعدل هو الوفاء بها (41).
4. **القانون الرابع:** يعتبر الاتفاق العام في مقام الطبيعي لتعاقد، لأنه ليست الفكرة في التعاقد بل في الإدارة نفسها التي تعبر عن دفع الناس للمساعدة المتبادلة بين الأطراف التي تقر السلام بينهما مثلاً بعد حالة حرب عنيفة إن القانون الطبيعي الأول ينادي بالسلام (42).
5. **القانون الخامس:** هو من قوانين الطبيعة هو الكياسة بمعنى آخر يبذل كل إنسان أقصى ما بوسعه حتى يكون مقبول من قبل الآخرين، حتى يفهم ذلك أن تفكر في أن هناك تنوعاً في طبيعة كفاءة الناس للعيش في المجتمع وهو ينتج عن تنوع عواطفهم، وبالتالي فهو يقوم بما يناقض قانون الطبيعة الأساسي الذي يأمر بالبحث عن السلام.



18. **القانون الثامن عشر:** لا ينبغي قبول أي إنسان كحكم أو قاض أي إنسان فيها منفعة أو شرماً، أو لذة أعظم مما ينال من جزء غلبة أحد الطرفين لأنه النزاع خلافاً لقانون الطبيعة. أن هذه القوانين التي يعتبرها **هوبز** ثابتة تمثل برأيه الفلسفة الأخلاقية الوحيدة والخفة لأن لفلسفة الأخلاقية إنما هي تقوم في معرفة الخير والشر وهذه القوانين ترشد البشر إلى سبيل الخير الأساسي في حياتهم التخلي عن أنانيتهم وحبهم لأنفسهم وسعيهم من أجل ضمان حياتهم أن القوانين الطبيعية تمثل برأيه **هوبز** الوسائل الوحيدة التي يمكن للبشر عن طريقها ضمان أنفسهم وتحقيق رغباتهم دون يهددهم أي خطر يصيبهم أي شر أو أذى. لقد وضع **هوبز** عدة حقوق مميزات لطبيعة بصاحب السادة ولا يمكن أخذها منه باعتبارها تتيح بمجرد اختيار الحاكم طريق العقد الاجتماعي.
- لحقوق مميزات الحاكم عند هوبز: -
1. أن الحاكم هو مستقر السيادة وصاحبها: - حقيقة مصدرها الأفراد ولكن السلطة حقوق الحاكم أنه لا يمكن أن يفقد سيادته.
  2. لا يجوز أن يدان الحاكم من جانب المحكومين بعدم العدالة: - القيام بأي عمل أو تصرف يضرهم لأنه بموجب التعاقد يعتبر كل فرد منهم هو نفسه مسؤولاً عن تصرف يقوم به العالم.
  3. عندما تختار الأغلبية الحاكم صاحب السيادة فإن الأقلية ملزمة: - لأنها إذا رفضته فإنها تعيد المجتمع بأكمله إلى حالة الحرب.
  4. لا يجوز محاسبة الحاكم أو إدانته على خرق التعاقد: لأنه ليس طرفاً فيه.
  5. على الحاكم أن يقوم بسن القانون المدني: كما أنه ينظم الملكية وما يتعلق بضمان معيشة الأفراد.
  6. يتولى الحاكم تعيين الموظفين القضائيين: اللازمين للمحافظة على السلم العام.
  7. للحاكم سلطة توفيق العقوبة: في حالة مخالفة القانون. أو حالة أي حالة أي تصرف مخالف للصالح القومي.
  8. للحاكم الحق في تقديم المكافأة: عن طريق منح الأعضاء والثروة أو الألقاب والمركز المتميز في المجتمع لمن يسهمون في تحقيق الصلح القومي.
  9. على الحاكم أن يراقب ويمنع أي تفكير يعبر عنها في الدولة وتعتبر مخالفة لآراء
  10. يتولى الحاكم سلطة إعلان مباشرة إعلان الحرب والسلام: مع الدول الأخرى وهو بالتالي يسيطر على كافة الوسائل اللازمة الهدف الضرائب ولعيش (46).
  11. يتولى الحاكم بطريق مباشرة أو غير مباشرة تعيين كافة موظفي الدولة أن له الحق في إقالتهم إذا تطلب الأمر (2).
- وفي هذه الحقوق لسيادة وهي لا يمكن تخلي عنها أفضل بينهما. لأن القانون الطبيعي هذه السلطة المطلقة هي في صالح المحكومين وإذا كان البعض منهم يعتبرها مصدر للقلق أنها المصدر الوحيد لتحقيق الاستقرار والطمأنينة للأفراد، فالحاكم هو لحكم النهائي فيما هو ضروري السلامة رعاية والدفاع عنهم.
- النتائج:**
1. أنه يعتبر علم من أعلام الفكر العربي في دراسة الفلسفة وبالأخص في مجال علاقات الأخلاق بالسياسة.
6. **القانون السادس:** أنه بعد إعطاء الضمانات للمستقبل، ينبغي أن يعفو عن الاعتداءات الماضية للذين يرغبون بذلك وهم نادمون فالعفو ليس إلا منح السلام، وهو مع أنه إذا تم للذين يستمرون في عدائيتهم لا يكون سلاحاً بل خوفاً، إلا أنه إذا لم يتم للذين يعطون ضمانات للمستقبل (43).
7. **القانون السابع:** أن لا يتطلعوا عند الانتقام إلى فداحة الشر الذي وقع في الماضي، بل إلى عظمة الخير الذي سيلي في المستقبل، وبمقتضى هذا القانون يحظر على البشر إنزال العقوبة بغيرهم القانون ليس الانتقام للقانون السابق.
8. **القانون الثامن:** يحظر على كل إنسان " أن يظهر بغضاً أو احتقار لإنسان آخر سواء بالفعل، أو الكلام، أو التلميح أو الإيماء، لأن سائر لبعض والاحتقار هذه يمكن أن يؤدي الانتقام.
9. **القانون التاسع:** أن كل إنسان عرف المساواة من الطبيعة بأمرنا بالعفو والتسامح بين الناس.
10. **القانون العاشر:** هو يوجب على كل إنسان " إن يطلب عند الدخول ظروف السلام، فكما أنه من الضروري لسائر أفراد البشر يسعون من أجل، أن يتنازلوا عن بعض الحقوق الطبيعية، أي يتخلوا عن حريتهم في فعل كل ما يريدون كذلك من أجل ضمان حياته والمحافظة عليه
11. **القانون الحادي عشر:** إذا ما كان إليه أن يكون قاضياً أو محكماً بين شخص وآخر أن يعامله أما على قدم المساواة لأنه لو لم يفعل ذلك سوف لن يكون لدى بشر سبيل آخر لحسم خلافاتهم. ومنازعاتهم " سوى الحرب، عليه فإن من يبدي أثناء قيامه بمهمة التحكيم بين طرفين تحيزاً نحو أحدي الطرفين دون الآخر، ويلزم هنا القانون. (44)
12. **القانون الثاني عشر:** يؤكد أن الأشياء لا يمكن تقسيمها، لا بد من التمتع بها أو الاستفادة منها بصورة مشتركة إذا كان ذلك ممكناً، وإذا كان مقدار شيء يسمح بذلك دون تغيير وإلا فيجب أن يوزع بصورة تتناسب مع عدد الذين لهم الحق في التمتع بذلك الشيء أو الاستفادة منه
13. **القانون الثالث عشر:** يقضي بأن الحق الكلي في الشيء أو " في حالة جعل الاستفادة من الشيء بالتعاقب"، الملكية الأولى له، ينبغي أن تقرر عن طريق القرعة لأن التوزيع المتساوي هو يقتضي به القانون الطبيعي ولا يمكن تحور وسائل أخرى المتساوي.
14. **القانون الرابع عشر:** يختص بكيفية تحديد ملكية الأشياء التي لا يمكن التمتع بها أو الاستفادة منها بصورة مشتركة وعن طريق القرعة تكون على نوعين فهي إما نسج كمية أو الطبقة (أي الحق الذي يتمتع به الابن البكر في وراث كل ثروة ولده)
15. **القانون الخامس عشر:** أن سائر الأفراد الذين يقومون بالتوسط من أجل إساعة السلام لا بد أن يباح لهم المرور بأمان بين الأطراف المتنازعة، لأن القانون الطبيعي الذي يأمر. البشر. وحرب السعي من أجل السلام كفاية، وإن الوسيلة التي تؤدي في التوسط هي تأمين السلامة لمرور والانتقال بين الأطراف المتنازعة.
16. **القانون السادس عشر:** يوجب على أولئك الذين يكونون على خلاف أن يحيلوا حقوقهم إلى حكم شخص محكم.
17. **القانون السابع عشر:** على أفراد البشر أن يكون أيأ منهم حكماً أو قاضياً لنفسه إذ لما كان يفترض في كل إنسان انه يحرص عند قيامه بأي عمل، على مراعاة مصلحته ومنفعة الخاصة، فإنه ما من إنسان يمكن أن يعتبر حكماً أو قاضياً ملائماً للثب في دعوى هو طرفاً فيها (45).



21. زكريا إبراهيم، اللوفياتان (ألتين) توماس هوبر، مجلة تراث الإنسانية دار النهضة المصرية، القاهرة، 1978، ص33.
  22. ستيفن م. ديولوم التفكير السياسي والنظرية السياسية والمجتمع المدني، ترجمة فريال حسن خليفه، مكتبة مديولي، القاهرة، 2008، ص11.
  23. عادل الغول، بحوث أخلاقية، دار علاء للنشر، والتوزيع، دمشق سنة 1988، ص10.
  24. عبد المنعم الحفني، المعجم الفلسفي، دار زيدون للطباعة والنشر، بيروت الطبعة الأولى، سنة 1992، ص11.
  25. عبد الوهاب الكيالي، لموسوعة السياسية، منشورات مؤسسة العربية ببيروت، موسوعة العلوم السياسية، منشورات جامعة الكويت، 1994، المجلد الأول، ص22.
  26. عبده فرج، معالم الفكر الفلسفي في العصر الوسطي، القاهرة لفسفة الأخلاقية في الفكر المغربي، دار لنشر بيروت الطبعة الأولى، سنة 1005، ص11.
  27. مرحبا محمد عبد الرحمن، فلسفة إيونانية إلى الفلسفة الإسلامية، جامعة الجزائر، سنة 1988، ص55.
  28. ابوبكر التلوع الأسس النظرية للسلوك الأخلاقي منشورات جامعة قاريونس بنغازي سنة 1995 ص 72
  29. لفلسفة الأخلاقية في الفكر المغربي الإسلامي صبحي احمد محمود النشر بيروت الطبعة الأول ص 201
  30. اللفاتان الأصول الطبية ولسياسيه الدولة توماس هوبز رجمة دانا حب الطبعة الأولى ص 154
  31. توماس هوبز مذهب في الأخلاق ق والسياسة، نبيل عبد الحميد عبد لجبار، دار دجلة سنة 2007 ص17
  32. حسين عبد الحميد، دارسة في علم الاجتماع والأخلاق، دار العرفة، الجامعة الإسكندرية سنة 2008 ص4
  33. امام عبد الفتاح امام. فلسفة الأخلاق. دارالتقافه والنشر والتوزيع، 2004، ص20
  34. عبدالمنم الحنفي، المعجم الفلسفي، دار ابن زيدون للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة، الأول سنة 1992
  35. دائنة عساف، مفهوم الاق في الفلسفة، سنة 2016، 15، أكتوبر. ص11
  36. القرآن الكريم سورة (القلم)
  37. حوريه توفيق مجاهد، الفكر السياسي من أفلاطون إلى محمد عبد، الدار المصرية للطباعة والنشر القاهرة، الطبعة الثالثة 1999
  38. ابوبكر التلوع، الأسس النظرية الأخلاقية النظرية الأخلاقية، بنغازي سنة 1995، ص55
  39. جميل صليبا، المعجم الفلسفي، القاهرة، الطبعة، الثالثة 1979 ص15
  40. إسماعيل زروقي في، دراسات في ليفة السياسية، دار الفجر للنشر، طرابلس ليبيا 2001 ص33
  41. يوسف كرم، تأريخ الفلسفة إيونانية، دار العل للملايين، بيروت سنة 1983 ص1
  42. هنية القمطي، الأخلاق فالعرف، منشورات جامعة قاريونس بنغازي، الطبعة التاسعة، سنة 1979 ص21
  43. نبيل عبد الحميد عبد الجبار الأخلاق والسياسة توماس هوبز، دار لجال، النشر سنة 2007 ص40.
  44. محمد فتح الله أحمد، دمشق، الطبعة الأول سنة 1987 ص39
- ❖ قائمة المراجع
1. أبوبكر ابراهيم التلوع، الأسس النظرية للسلوك الأخلاقي منشورات قاريونس، بنغازي، الطبعة الأولى، 1995.
  2. أحمد محمد مكوية، تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراف، القاهرة، 1986 ص 195.
  3. أحسانا العقلة، تعريف السياسية، ديسمبر، لسنة 2015 ص 7.
  4. أميرة حلمي مطر، الفلسفة السياسية، مكتبة الشروق، الطبعة الأولى، 2006، ص30
  5. أسماعيل زروقي، دراسات في الفلسفة السياسية، دار الفجر للنشر والتوزيع الطبعة الأولى، سنة 2001م، ص115
  6. إمام عبد الفتاح إمام، فيلسوف العقلانية توماس هوبر، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1985، ص12
  7. إميل برهية، تاريخ الفلسفة إيونانية، دار الطبيعة، بيروت، الطبعة الأولى، ص294، ص33
  8. أبن منظور، لسان العرب، المجلد الرابع، دار لسان العرب بيروت، لبنان، 1988، ص45
  9. جحيدر ا حمد المهدي. القيم الخلقية، بين إيوناني والفكر السلام. لدعوه الإسلامية النشر الطبعة الأول سنة 2009 .
  10. حنا عبود، الفكر السياسي في إيوناني القديمة، الطبعة الأولى، ب. ت دمشق، ص160
  11. جاسم زكريا، مدخل إلى علم السياسي، دار النضال لتوزيع، الطبعة الثانية. 1984. ص16
  12. حيدر حاج اسماعيل، أسس الفكر السياسي الحديث عصر النهضة، توزيع مركز دراسات الوجد الطبعة تانية ص332
  13. حيدر حاج إسماعيل، تاريخ الفكر العربي من إيونان القديمة إلى القرن العشرين، الطبعة الأولى، بيروت، أبريل، سنة 2012.
  14. بيير فرانسز أموزري، هوبز الفلسفة، العلم، دين لترجمة، أسامة الحاج المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، سنة 1993، ص12
  15. حورية توفيق والفكر السياسي من الأفلاطون إلى محمد عبده جامعة القاهرة الطبعة لسابعه سنة 201 ص416
  16. يوسف كرم، تاريخ الفلسفة إيونانية، دار العلم بيروت، 1983، ص18
  17. توفيق الطويل، لفلسفة الخلفية، نشأتها وتطورها، دار النهضة العربية القاهرة سنة 1976، ص23
  18. حسن حنفي، ترجمة (وتقديم وتعليق) نماذج من الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط (أوغسطس) مكتبة المصرية، الطبعة الثانية، 1978، ص
  19. جورج زيناتي، رحلات داخل الفلسفة الغربية، بيروت لبنان الطبعة الأولى، 1993، ص11
  20. جميل صليبا، لمعجم الفلسفي، القاهرة الطبعة الثانية، 1979، ص22

45. محمد مهران ,تطور الفكر الأخلاقي في لفلسفة الغربية  
الطبعة الأول ,سنة 1998 ص33  
46. السيد محمد بدوي ,الأخلاق بين الفلسفة وعلم الاجتماع  
دار المعرفة الجامعة , الإسكندرية ,سنة 2006